الشيخ حسن السهيل ... أمير قبيلة تميم (١٨٩٠ – ١٩٥٧م)

آل السهيل أسرة الزعامة المشهورة في بني تميم بالعراق، وقد عُرفت باسم جدّها الأعلى سهيل (الأول) بن حسن بن طعمة بن مصلح الذي ينتسب إليه (المصالحة).

ولادته ونشأته

وُلد الشيخ حسن السهيل عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م في عكركوف، وهو أكبر أولاد أبيه سناً، ونشأ وترعرع في كنف والده سيد تميم المطلق في العراق سهيل بن نجم بن سهيل، وقد تلمّست قبيلة بني تميم فيه منذ نعومة أظفاره دلالات القيادة البارعة، فقد كان فارساً لا يُشق له غبار، اشترك في مواجهة الاحتلال الإنجليزي للعراق، وكان يقود فرسان بني تميم في حربهم ضد القوات الإنجليزية شأن تميم في ذلك شأن القبائل العربية الكبرى .. وعندما حمي وطيس المعارك انسحبت القبائل العربية أمام زحف الآلة العسكرية الحديثة قام الشيخ حسن السهيل بإنقاذ الجرحى من ساحة المعركة رغم خطورة هذه المهمة وسقوطهم في الأرض الحرام، وفي عودته أبى أن يعود إلا إذا أنقذ دِلال الحميدي التي بقيت في المعسكر العربي حتى لا يهنأ المحتلون بدِلال القهوة العربية لما يحمله مثل هذا الأمر من دلالة .. وقد سقط تحته في هذه المهمة فرسين وتم الإنقاذ وكان أمراً تناقلته العرب بالثناء والإعزاز..

وقام بأعباء رئاسة قبيلة بني تميم عام ١٩٢١ بعد وفاة والده الشيخ سهيل النجم، وقد أسّس هذا الرجل لنفسه ولقبيلته مكانة متميزة فاكتسب بحق لقب (أمير تميم). وقد بدأ في محاولات جاهدة لتوطين قبيلة بني تميم ونقلهم من حياة البداوة إلى الحياة الحضرية الأكثر استقراراً، وشجّع الكثير منهم على التعلّم، ووزع الأراضي التي اشتراها من ماله الخاص على رجال قبيلته.

دخوله إلى البرلمان

مثّل الشيخ حسن السهيل لواء بغداد في أربع دورات انتخابية:

١. الدورة الانتخابية الرابعة (٨/ ٣/ ١٩٣٣ ولغاية ٤/ ٩/ ١٩٣٤).
٢. الدورة الانتخابية السادسة (٨/ ٨/ ١٩٣٥ ولغاية ٢٩/ ١٠/ ١٩٣٦).
٣. الدورة الانتخابية التاسعة (١٢/ ٦/ ١٩٣٩ ولغاية ٩/ ٦/ ١٩٤٢).
٤. الدورة الانتخابية العاشرة (٩/ ١٠/ ١٩٤٣ ولغاية ٣١/ ٥/ ١٩٤٦).

وكان يرأس في الوقت نفسه الكتلة العشائرية في العراق، فقد كان رئيساً لكتلة القبائل العربية في البرلمان العراقي، وأصبح عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٥٥، ثم ترك العمل السياسي وانصرف إلى أعمال الزراعة والتجارة بعيداً عن السياسة.

مواقفه من القضايا الاجتماعية

كان للشيخ حسن السهيل حضور واضح في القضايا الاجتماعية التي أُثيرت خلال جلسات المجلس النيابي، ومنها:

١. في جانب التعليم، أكّد في الجلسة السابعة والثلاثين المنعقدة بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٩٣٣ على ضرورة أن تكون البعثات الدراسية للفقراء فقط، أما الأثرياء فهم قادرون على إرسال أبنائهم.
٢. عند مناقشة قانون العقوبات لسنة ١٩٣٤ في الجلسة السادسة والثلاثين المنعقدة بتاريخ ٩/ ٤/ ١٩٣٤ اعترض على بعض المواد، وأكّد على ضرورة أن تكون القوانين واضحة، وكلّ شخص يعرف حقّه، وألا تبقى تفسيرات القوانين تحت رحمة الوزير.
٣. عند مناقشة تعديل قانون العمّال لسنة ١٩٣٦ في الجلسة السادسة والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٤٢ أشار السهيل إلى أن بعض القوانين التي سُنت لصالح العمّال لم تُطبّق في الحقيقة ولم يُعمل بها، وأضاف: أنها كالقرآن في بيت زنديق.
٤. في مجال الصحة، وعند مناقشة لائحة قانون الميزانية العامة سنة ١٩٤٢ في الجلسة الثانية والثلاثين المنعقدة بتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٤٢ فقد بيّن أن العاصمة وضعها سيء من الناحية الصحية، وعلى الحكومة أن تهتم بالفقراء الساكنين في أطراف بغداد بتوفير الأطباء لمعالجة المرضى.

٥. أثار في الجلسة الثانية عشر المنعقدة بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٤٤ موضوع الصحافة قائلاً: إن الشعوب تُعرف من خلال حرية صحافتها، فالصحافة هي لسان حال الأمة.
٦. أشار إلى مشكلة كهرباء الكاظمية ومعاناة ساكنيها، وأثار الموضوع في الجلسة السابعة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٤٥ قائلاً: "هل يجوز أن تكون منطقة الكاظمية التي لا تبعد عن بغداد بخمسة كيلومترات مظلمة؟!!، ومرّ على كلام الوزير السابق سنة ونيف وهو كان يقول قيد الدرس، هل انتهى الدرس أم انه باق إلى الآن؟!!".

مواقفه من القضايا الاقتصادية

أبدى الشيخ حسن السهيل اهتماماً بالقضايا الاقتصادية، فمن ذلك:

١. عندما عُرضت لائحة حقوق وواجبات الزرّاع لسنة ١٩٣٣ في الجلسة التاسعة عشر المنعقدة بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٣٣ اعترض على المادتين الثامنة عشر والتاسعة عشر حول منح الحق لصاحب المزرعة بترحيل الفلاح إذا امتنع عن تأدية واجباته، منتقداً ذلك بأن ترحيل الفلّاح يعني ترحيل عائلة بكاملها.
٢. عند مناقشة تقرير اللجنة الاقتصادية عن تعديل قانون الري والسداد لسنة ١٩٢٣ في الجلسة الرابعة عشر المنعقدة بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٤٥ انتقد هذه اللائحة وأشار إلى وجود ثغرات فيها، مبيّناً أن القانون الذي سُنّ قبل عشرين سنة أفضل مما جاءت به هذه اللائحة.
٣. طالب في الجلسة التاسعة عشر المنعقدة بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٩٤٥ أثناء المذاكرة على قانون استثمار أراضي الدجيلة بـ "تقسيم الأراضي الزراعية على الفلّاحين حيث توجد أراضٍ خالية تُقدّر بسبعة ملايين من الدونمات".
٤. أثناء مناقشة نكبة الفيضانات التي حلّت ببغداد عام ١٩٤٦ في الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٩٤٦ انتقد تقصير الحكومة في اتخاذ التدابير قبل وقوع الكارثة، ثم تحدّث عن التعويضات التي تذهب إلى الشيوخ والرؤساء والسراكيل، وأما "المزارع الفقيرة التي يعيش عليها الناس فتبقى محرومة".
٥. عندما طُرحت لائحة قانون التعديل الثاني لقانون ضريبة الأرض لسنة ١٩٣٦ في الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٩٤٥، أثنى الشيخ السهيل على هذه اللائحة مبيّناً أن المصالح متضاربة بين الأفندية والشيوخ والفلاحين والعمال، لكن الحكومة قدّمت المصلحة العامة.

مواقفه من القضايا السياسية

كان الشيخ حسن في مجال السياسة يمثّل تيار الوسط الديمقراطي، وكثرت انتقاداته لمجلس النوّاب، وكانت علاقته بنوري السعيد يشوبها بعض الفتور وخاصة بعد اشتراك الشيخ حسن في تأسيس حزب الأمة الاشتراكي عام ١٩٥١ الذي ترأسه صالح جبر.

وكانت له صولات وجولات في البرلمان العراقي، وعرف بأسلوبه المتميز في طرح قضاياه بأسلوب دبلوماسي لا يسيء إلى أحد، وتحفل محاضر مجلس النواب العراقي بخطبه ومناقشاته الجريئة للحكومة، منها على سبيل المثال الخطاب الذي ألقاه في مجلس النواب في جلسته العاشرة المنعقدة بتاريخ ١١/ ١/ ١٩٤٥، وهاجم فيه رجل العراق القوي نوري السعيد قائلاً: "إني عجزت كما عجز غيري ومللت كما ملّ غيري من حكم فخامة نوري السعيد. ثلاث سنين ونحن نتقهقر إلى الوراء. إن ثلاثة أعوام مرّت على حُكم فخامة نوري السعيد ولم يقدّم للعراق شيئاً، أقول هذا سواء أرضى الوزراء أم لم يرضوا، غضبوا أم لم يغضبوا".

وقال في الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٩٤٣ أن على المجلس أن يمارس حقوقه ليحافظ على حقوق الأمة، وليس عملنا رفع الأيادي للتصديق على لوائح الحكومة، فنحن هنا ليس لرفع الأيادي فقط بل لمحاسبة الحكومة والمحافظة على القوانين.

مواقفه من القضايا والأحداث السياسية الخارجية

كان للشيخ حسن السهيل مواقف واضحة من العديد من القضايا والأحداث السياسية الخارجية، منها:

١. كان أحد الحاضرين في مؤتمر كربلاء المنعقد من ٣ – ٨/ نيسان/ ١٩٢٢– أواسط شعبان ١٣٤٠هـ لمناسبة حصول الاعتداءات الوهابية على الحدود العراقية، حيث حضر المؤتمر زعماء الدين ورؤساء القبائل العراقية ووجهاء المدن، وكان الشيخ حسن مع بقية شيوخ القبائل قد قدّموا مضبطة إلى المؤتمر حول تلك الاعتداءات، وضمّنوا المضبطة اتفاق كلمتهم بحيث لا يخالف بعضهم بعضاً فيما تقتضيه مصلحة البلاد وحفظ المشاهد المقدسة وقبور الأولياء، وقرارهم بمدافعة المعتدين بمعاضدة الجيش الملكي بكلّ ما في وسعهم واستطاعتهم واتخاذ التدابير اللازمة، فضلاً عن مطالبتهم باسترداد الأموال المنهوبة، وتأدية ديات القتلى.
٢. في القضية الفلسطينية، انتقد السياسة البريطانية في الجلسة السابعة والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٤٥ لوقوفها بجانب الصهيونية وتشكيل دولة يهودية في قلب الدولة العربية.

٣. عندما قامت فرنسا باعتداءات وحشية عام ١٩٤٥ في سوريا ولبنان طالب في الجلسة السادسة والثلاثين المنعقدة بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٤٥ باستعمال القوة العسكرية لمواجهة الخطر الفرنسي.
٤. عند مناقشة ميثاق الجامعة العربية في الجلسة العشرين بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٤٦ قام بالثناء والشكر لرجالات العرب والعراق خاصة على ما قاموا به من تأسيس الجامعة العربية، وطالب من الحكومة العراقية رفع الحواجز الكمركية فيما بين الأقطار العربية، وتوحيد القوانين، ورفع حواجز السفر والاكتفاء بإجراءات الهوية فقط إذا انتقل شخص من دولة عربية إلى أخرى، وطالب أيضاً بتوحيد التعليم وتوحيد الجيوش العربية.
٥. في عام ١٩٤٧ تفاقم الوضع في فلسطين وازدادت المعارك بين عرب فلسطين والعصابات الصهيونية ارتأى رؤساء القبائل عقد مؤتمر خاص بهم في مدينة الحلة يوم ٢٢/ ١١/ ١٩٤٧ حضره رئيس الوزراء صالح جبر، واتخذوا فيه عدة قرارات للدفاع عن فلسطين، وتم تشكيل هيئة تنفيذية كان الشيخ حسن السهيل عضواً فيها، والتي ستتولى إعداد العشائر للجهاد في فلسطين.

وبعد إعلان هيئة الأمم المتحدة في ٣٠/ ١١/ ١٩٤٧ تقسيم فلسطين اجتمعت الهيئة التنفيذية في دار الشيخ موحان الخير الله واتخذوا عدة قرارات، وعلى الرغم من أن الشيخ حسن السهيل أحد أعضاء الهيئة التنفيذية إلا أنه عندما سُأل عن قضية فلسطين كما تذكر جريدة الحوادث فإنه أجاب أن قضية فلسطين أشبه بامرأة مريضة تتوجع ولا أحد بهم يستطيع أن يخلّصها من وجعها، فقط كلام، أي أنه كان يُدرك ما كان كلّ هذا إلا دعم معنوي لا أكثر.

دخوله إلى الأحزاب

ساهم الشيخ حسن السهيل في عمل العديد من الأحزاب في العهد الملكي، وكما يأتي:

١. انتُخب عضواً في الهيئة الإدارية لحزب النهضة الذي رأسه محمد أمين الجرجفجي عندما أعاد الحزب نشاطه بعد انتخابات ١٩٢٧، وأبرز موقف للحزب رفضه المفاوضات الجارية بين العراق وبريطانيا حول تجديد المعاهدة بين الطرفين. وقد أُغلق الحزب أواخر سنة ١٩٢٩.
٢. انضم إلى حزب الإخاء الوطني الذي تشكّل في ٢٥/ ١٠/ ١٩٣٠ برئاسة ياسين الهاشمي، وتم حلّه في العام ١٩٣٥.
٣. انضمّ إلى حزب الأحرار الذي تأسس عام ١٩٤٦ برئاسة توفيق السويدي الذي لم تطل رئاسته، ولكن انضمام السهيل كان بعد أن ترأس الحزب سعد صالح، وأعلن الحزب تجميد نشاطه بعد إعلان الأحكام العرفية عام ١٩٤٨.

٤. انضم إلى حزب الأمة الاشتراكي برئاسة صالح جبر الذي أُجيز في ٢٤/ ٦/ ١٩٥١، وقد تعرّض الحزب لانشقاق خطير في ١٨/ ٨/ ١٩٥٤، لم يستمر بعده طويلا.

مكانته الاجتماعية

اشتهر الشيخ حسن بكرمه، فضلاً عن هيبته فشاع ذكره بين القبائل، ورُمق مقامه من قبل ملوك العراق وساسته، فأصبحت مضاربه في عقرقوف فقرة دائمة في جدول زيارة كبار الوفود والضيوف من زوار المملكة العراقية آنذاك. وممن كان يتردد على المضارب الملك فيصل الثاني مع خاله عبد الاله، ورؤساء الوزارات العراقية والوزراء والنواب في العهد الملكي، وممن زار المضارب الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن، والملك فهد بن عبد العزيز (يوم كان وزيراً للمعارف)، والرئيس اللبناني بشارة الخوري، والرئيس السوري فوزي القوتلي، والرئيس التركي جلال بايار، ورئيس وزراءه عدنان مندليس، والأمير أدولف غوستاف ولي عهد السويد، والشاعر الهندي المشهور رابندرانات طاغور، والجنرال البريطاني مونتغمري، والجنرال البريطاني ويفل، وأمير السيف والقلم زيد الأطرش/ سوريا، والفريق عبد الرحمن آل الشيخ التميمي من السعودية، والمشير الركن حابس المجالي التميمي من الأردن، والشيخ علي بن ثاني حاكم قطر، والزعيم المصري حمد الباسل باشا، ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان، ومن مشاهير الكتّاب العرب أسعد داغر/ لبنان، ومحمد علي الحوماني/ لبنان، والدكتور زكي مبارك/ مصر، وأحمد حسن الزيّات/ مصر، وفي هذه المضارب عُقدت جلسة الصلح التاريخية عام ١٩٤٤ بين عشائر العبيد والعزة، حيث كان للشيخ حسن السهيل دوراً بارزاً في حلّ الخلافات بين القبائل العربية، ومن أجل الصلح جمع معظم رؤساء القبائل في العراق ونجد ومصر حتى انتهى المؤتمر بالنجاح نظراً لما يتمتع به الشيخ السهيل من سمعة طيبة بين القبائل العربية.

لقد كانت تلك المضارب شاهداً حياً على أصالة العرب، وعلى بقايا تلك الجمرة المتقدة من الأخلاقيات والتقاليد القبلية الأصيلة المتوارثة عبر الأجيال.

سفراته إلى خارج العراق

كانت للشيخ حسن سياحات وزيارات إلى عدد من البلدان، فقد زار سوريا عام ١٩٣٧، وزار القاهرة عام ١٩٣٩ وحضر أثناء الزيارة مؤتمراً عربياً، وحفلة عقد قران شاه إيران على أخت الملك فاروق، وزار الأهرامات بدعوة من وزير المعارف، وحضر في دار الأوبرا الملكية تمثيل رواية مجنون ليلى لأحمد شوقي، وزار مصر ضيفاً على الملك فاروق في عام ١٩٤٥، وزار عام ١٩٥٥ حين كان عضواً في مجلس الأعيان الجمهورية التركية على عهد الرئيس جلال بايار وحلّ ضيفاً على الشعب والحكومة التركية، وزار قطر بدعوة من أميرها علي آل ثاني عام

١٩٥٦، وآل ثاني تميميون، وقد أهداه الأمير ثلاث سيّارات وردّ الشيخ حسن بدوره بإهداء الأمير ثلاثة خيول عربية أصيلة. وزار المملكة العربية السعودية ضيفاً على الملك سعود بن عبد العزيز حيث أنهى فريضة الحج وتفقد العمارة السعودية للمسجد الحرام والمسجد النبوي. وزار لبنان وحلّ ضيفاً على رئيسها، وزار الكويت في عهد الأمير عبد الله السالم الصباح وفي استقبال الشيخ حسن السهيل عُزف السلام الوطني الكويتي والملكي العراقي، واستعرض الشيخ حسن حرس الشرف الذي اصطف لتحيته..

مما قيل فيه:

كتب العديد ممن التقى الشيخ السهيل انطباعاتهم عنه، ومنهم:

١. وصفته (أيدا دونجس) – وهي معلمة في المدرسة الأمريكية – التي التقته في أوائل العشرينات في مضيفه بعقرقوف، وهذا قبل البث الإذاعي وأنها لم تجد أية صحيفة أو مجلة في مضيفه كما تقول إلا أنه (كان المتحدث الأكثر ذكاء عن الشؤون العالمية وما يدور اليوم حول النقاط الأربع عشرة التي طرحها (ادوارد ولسن) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أفضل من أي طالب جامعي، وكان يعرف ما يدور في عصبة الأمم في جنيف وما القوى العظمى في أوربا؟ وبماذا يفكّرون؟ وماذا سيفعلون؟ إن هذا الرجل لديه الحماسة للحصول على الأخبار الدولية واتخاذه كل فرصة لتوسيع معارفه).

٢. في الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ (صفحة ٨٧٧): وهو في مقدمة الشيوخ الذين تهمهم مصالح البلاد، ويسعون لترقية عشائرهم وتحضيرهم، وقد اشتهر بضيافته وكرمه بصورة فائقة.

٣. التقاه المؤرّخ العراقي عباس العزاوي عام ١٩٤٠ ووصفه في كتابه (عشائر العراق، ج ٤/ ٢١٧) قائلاً: كان وافر المعرفة، وهو رئيس بمعنى الكلمة. صاحب كلمة نافذة، وزعيم مشهود له بالزعامة.

٤. وصفه جعفر الخليلي في موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين، ج ٣/ ١٤١) قائلاً: كان الشيخ حسن السهيل من مشاهير رؤساء القبائل العراقية لا لأهمية أسرته التميمية بين القبائل فحسب، وإنما لما له من قابلية ومرونة عُرف بها في الأزمات، وقد انتخب نائباً في المجلس النيابي عن الكاظمين غير مرة. وكانت له مضارب من الخيم كثيراً ما يدعو لها الضيوف على طريقة العشائر ممن يفدون إلى العراق من الأقطار العربية والأجانب من الدبلوماسيين والوفود. ونقل ذلك أيضاً السيد باقر أمين الورد في كتابه (أعلام العراق الحديث، ج١/ ٢٦٠).

وفاته

توفي الشيخ حسن السهيل بالسكتة القلبية يوم الاثنين ٩ كانون الأول سنة ١٩٥٧/ ١٥ شهر جمادى الأولى١٣٧٧هـ، وحُمل إلى النجف الأشرف ودفن فيه، وأُعلن الحداد في جميع أنحاء العراق لسبعة أيام، وأرّخ عام وفاته الشيخ كاظم آل نوح خطيب الكاظمية بقوله:

نـــزلَ القضـــاءُ فـــلا مـــر دّ لـــــه نهـــــاراً أو بليـــــلِ
احـــــذف لـــــوتر وأرّخـــــن فلقـــد قضـــى حســـنُ الســـهيلِ

وقال مؤرّخاً أيضاً:

المـرء لـم يسـتطع رد القضـاء إذا حـان الرحيـلُ فـلا تغفـل بـل انتبـهِ
أضـف لـوتر ونـادي يـا مـؤرّخ قـل أبـوك أسـعد قـد حـلّ القضـاءُ بـهِ

ونُقل عن ملك العراق فيصل الثاني لدى حضوره مجلس الفاتحة قوله: لقد كان الشيخ حسن السهيل أباً لي في الصغر وصديقاً لي في الكبر.

كتب عنه سمير عباس ريكان بحثاً بعنوان "الشيخ حسن السهيل: حياته ودوره السياسي في تاريخ العراق المعاصر ١٨٩٠ – ١٩٥٧" منشور في مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد (٢٢)، العدد (٩٤)، ٢٠١٦، الصفحات ٥١٧ – ٥٤٤. كما أن مجلة الموسم في عددها (١٣٠) الصادر عام ٢٠١٦ قد نشرت في الصفحات (٣٧٩ – ٤٣٦) ملفاً عن آل السهيل كان جزء منه يخص الشيخ حسن السهيل. ولا يخفى أن العديد من مواقع الانترنيت تقدّم معلومات وصور ووثائق عن الشيخ السهيل رحمه الله.